مع التصوف فى الجامعة

للأستاذ محمد رشاد عطيه

منذ أيام وبينما كان أستاذنا الجليل الدكتور محمد مصطفى حلمى يحاضر عن الأسس العلمية للحياة الروحية فى الإسلام فى طلبة الماجستير بكلية الآداب - بجامعة القاهرة وقف أحد الزملاء ، وأخذ يتكلم بحماس شديد قائلا : إن التصوف الآن قوة سلبية ، والقائمين عليه مجموعة من الدراويش من أصحاب المرقعات ، والعزلة والهروب من مشاكل المجتمع ، وصخب الحياة ، ويجب أن لا يكون له وجود فى القرن العشرين !!؟

واشتدت المناقشة ، وانقسم الزملاء إلى فريقين ، قسم متحمس للتصوف وآخر معارض له .

وكعادة أستاذنا دائماً ترك كل يبدى رأيه فيما يشاء ، ثم يناقش كل ما يقال ويعقب عليه .

وضرب أستاذنا مثلا على أن القائمين على التصوف ليسوا بالصورة التى يتخيلها الناس ، من سلبية وتواكل ، ونبذ للحياة ، بساحة الشيخ محمد علوان ، شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وكيف عمل على تطوير مفاهيم التصوف بما يتفق مع نهضتنا المعاصرة ، وأنه قوة إيجابية ، يعمل ليل نهار للنهوض بالتصوف من طول ركود وخمول .

وجاء فى بعض الزملاء الذين يعرفون أننا أبناء بلدة واحدة يسألونني عن سماحته فقلت لهم فى بساطة واختصار .

إن حياة سماحة السيد محمد علوان تمثل صورة مشرقة من حياة الكفاح والإيمان ، وتقدم للشباب نموذجاً حياً من الإرادة الصانعة والعزيمة البانية .

لقد نشأ سيادته من أسرة دينية عريقة فى تاريخ التصوف ودعوته .

وعرف منذ شبابه الباكر بالوطنية الصادقة . والأفق الواسع ، والمنطق الواضح ، والمروءة الإنسانية التى تصنع الخير دائماً كأنه غذاء وجودها ، وتقدم الخير للناس كافة كأنهم أولو أرحام وأنساب .

وكانت هوايته الكبرى القراءة والاطلاع ، فأحاط بأمهات الكتب إحاطة فهم واع ، وبصيرة لماحة مميزة ، وعرفته المحافل خطيباً مفوهاً ، عف اللفظ ، جميل المدخل

حلو العبارة وأنيقها ، ثم دخل الحياة السياسية ومثل بلدته فى البرلمان مرات عدة واستطاع أن يجعل من أبناء دائرته وحدة تعاونية . وأن يجند الشباب للخدمات العامة . وأن يشرف بنفسه على أوجه النشاط الرياضى والاجتماعى والتعاونى ويتجه بكل هذه الطاقات إلى المصلحة العامة البناءة على أساس من المحبة والأخوة

ثم هجر الحياة السياسية لفسادها قبيل قيام الثورة . فلما ارتفعت الصيحة الكبرى فى آفاق النيل وجاء فجر الثورة المبارك كان فى طليعة من لبى صيحة الجهاد واتجه بكل طاقاته وإمكانياته إليها . وأشرف على هيئة التحرير فى بلدته ونهض بها.

وفى كل هذه الأدوار لم ينس أبداً واجباته الصوفية كشيخ للطريقة العلوانية . وكعضو فى المجلس الصوفى الأعلى . ثم صدر القرار الجمهورى بتعيينه شيخاً لمشايخ الطرق الصوفية. فنهض بالطرق وبالتصوف تلك النهضة الكبرى العالية الصوت وخرج بها معا إلى الإيجابية المتحررة التى تسهم فى الخدمات العامة وفى القضايا الوطنية كما تنهض بدعوتها إلى الله وإلى العبادة وإلى مكارم الأخلاق ومثاليات الحياة. فضرب المثل الواضح على أن التصوف هو عزم وتربية وإرادة وأخلاق ، وأن رجل السلوك الصوفى . هو رجل بناء وعمل ونضحية وجهاد لخير الناس ولخير الحياة .

. . .

ثم عدنا للحديث عن الجامعة والتصوف فاتفقت مع زملائى على أن تدرس التصوف فى الدراسات العليا بالجامعة هو ظاهرة من ظواهر التطور العلمى . وأن تلك المناقشات التى تقام حوله . هى عامل من عوامل قوته وحاجة الناس إليه .

وإننى على هذا الضوء أطالب سماحة شيخ المشايخ بدعوة الزملاء إلى مقر المشيخة العامة . وعقد ندوات للمناقشة فيما يريدون بحضرها أساتذة الجامعة كى يلمسوا بأنفسهم ضروب الإصلاح والتطور فى نهضتنا الصوفية . وأن تكون هناك حلقة اتصال دائمة بين المشيخة والجامعة .

فالاتصال والمناقشة بصفة شخصية أجدى وأقوى تأثيراً فى النفوس خاصة إذا كانت مع رسل الوعى فى المستقبل .

● المجلة :

ومجلة «الإسلام والتصوف» من ناحيتها نرحب بفكرة الأستاذ رشاد عطية . وندواتها العلمية يسرها أن تستضيف دائماً شباب الجامعة وأساتذة الجامعة فهم كما يقول سيادته رسل الوعى . وأحب الأشياء إلينا أن تتسلح طليعتنا العلمية بزاد روحى خلقى نقى وأن تمتلىء يدها بالقوة الإيمانية التى تنبثق من تعاليم التصوف ومنهجه وهديه .